واولته عظمةً وأمدّته منفعةً وخولته رهبةً وأيّدته فشوًّا وانتشارًا. لاسيما لانَّ من هؤلاء النسّاك من كانوا يبذلون كل ما في وسعهم للمحافظة على اصول دينهم ولم يضنوا باجود ما عندهم وانفسه. ولم يظنّوا ان في الكون امرًا يُضاهي اجرًا مثل عند الدين وبثّه في العالمين. ومن ثم فانهم لم ينظروا ابدًا الى حُطام الدنيا وزُخرُفها ولهوها.... حفظنا الله ووفقنا الى السداد في البدء والمعاد. اللهمّ اميين. يا ارحم الراحمين. ومجيب ادعية عبيده المسترحمين

الطبّ في الحبشة

للصيدلي القانوني عبد الله افندي ميخائيل رعد

نظر عامّ

شأن الاحباش في صناعة الطب شأن كل البلاد الاولية التي لم تدخل بعد في مجرى تمدن بقيّة الامصار فيتعاطى هذا الفنّ رجال مشعوذون يلحق بهم المنجمون والبصّارون ومفتشو البخت وامثالهم اخصُّهم اهالي مدينة گوندَر وهم امهر الاطبّاء في عرف الاحباش. امّا سكّان مملكة الشوا فاطباؤهم اتكالا. وقد انتلف هؤلاء المشعوذون مداواة بعض الامراض الشائعة في هذه الانحاء كالزهري مثلًا حتى اضحى بعضهم خبيرين بالداء يعرفون مجرى هذه العاهة بكل دقّة. امّا كيفية تطبيبهم فليست من الغرابة بشيء. فلا نجدهم لاحظوا ملاحظةً ام استعملوا علاجًا خفي سرّه على غيرهم فالعرب في زمن الجاهلية كانوا ارقى في الطبابة من الاحباش في يومنا وهم اليوم يستعملون نظير العرب الدلك والحجامات والفصادة وقد زادوا في هذه السنين الاخيرة شيئًا اخذوه عن الافرنج وهو استعمال الزئبق ويودور البوتاسيوم. والحبشي وان طبيبًا يجهل معرفة تركيب جسد الانسان فان تشريح الجثث ممنوع في الحبشة كانهُ بدعة في الدين ولذلك هم يفترضون وجود بعض الاعضاء او الشريانات في الانسان بالمشابهة مع ما ماثلها في جسد الحيوان لوجه الشبه الناتج من وظيفتها فيه

٢ تقسيم الامراض

يقسم الاطباء الاحباش ما يعرفونهُ من الامراض الشائعة عندهم الى اقسام وقد تخطَّوا في هذا التقسيم الى ان جعلوا اسماء مختلفة لمرض واحد تختلف اشارتهُ بحسب اختلاف طوره كالزهري فانهم يدعونهُ «كيطين» في ابتداء العلَّة واذا ازمن وظهرت لهُ اعراض اخرى ثانوية سمَّوه «وردي». كذلك الحمى فاسمها «متش» اذا تسببت عن ضربة و«وبا» وهي الملارية و«تقوسات» وهي الناتجة عن عسر هضم او تكوُّن صديد في قرحة او خراجة او ما شاكل ذلك. اما الامراض الاكثر شيوعاً في بلاد الحبش فهي الجلدية ويقسمها اطباء الحبش الى قسمين فيجعلون الحميراء والجدري والجرب في القسم الاول. والجذام والبرص والزهري في الثاني. وما خفي عنهم كنهه نسبوه الى العين والارواح كفقد الذاكرة في الحمى والهذيان وكبعض الامراض التي يحصل منها رعدة في الجسم او اندفاع دم من الحلق او تشنج في الاعصاب او نحو ذلك. وقد يكرهون مثل هؤلاء المرضى على تجرع كمية جسيمة من الماء نحو اربعة او خمسة ليترات في ساعة واحدة فيضيعون بذلك مفاعيل الادوية بالماء المقدَّس ويقضي بذلك المدنف نحبه لتزارة ما اودع في ادويته من كمية السائل

واكثر ما يفشو اليوم بين الاحباش وما يُعدّ ضربةً على هذه البلاد منهما عاهتان كبيرتان: الزهري والبرص او الجذام وهما المرضان اللذان لم يدعا بيتاً الَّا ودخلاهُ ولا عائلة الَّا وابتلياها وهما الداءان اللذان ضُرب بهما الملك والمملوك والسادة والعبيد

٣ مرض الزهري

اذا قلت ان نصف اهل هذه البلاد قد غلب عليها داء الزهري قد لا اكون بلغت النسبة الحقيقية بتمامها. ومما يؤسف لهُ ان هذا الداء بامتداد متواصل في كل يوم وما ذلك الَّا لكون الحكومة جاهلة لا تتَّخذ احتياطاً لتمنع سريان الداء كما وان الاهالي لا يكادون يعيرونهُ بالًا فيفتك بهم فتكاً ذريعاً ويصيب فتياتهم منذ حداثة سنهم. وقد رأيت بعض الاحباش يشربون محلول يودور البوتاسيوم اياماً معلومة في كل شهر على مدى حياتهم احتياطاً دون ان يظهر عليهم لوائح المرض

وقد اعتاد هؤلاء القوم ان لا يفرقوا بين مرض وآخر من امراض الاعضاء الجنسيَّة فجميعها عندهم انواع من الزهري اللهمَّ الَّا البلانوراجيا (تقعب المجرى البولي)

واذا سئل علماؤهم — ان صحَّ ان ندعوهم علماء لانَّ العالم عندهم من أحسن القراءة وكتابة الرسائل — كيف كان اصل هذا المرض في الحبشة . اجابوك كلهم انهُ مرض منقول اذ لا ذكر لهُ في الكتب القديمة . فيدعي بعضهم انهُ جاءهم في الاصل من مصر عن طريق النيل . ويقول الآخرون بل اصلهُ من الافرنج . وقوم يقولون ان العرب التجار اتوهم في الاصل بهذه العدوى والله اعلم . على ان السببين الاولين قد يمكن ان يثبتا معًا . اما الثالث فيصعب تصديقه لان الجهات التي اختلف فيها العرب اكثر من اختلاطهم بالاحباش لم يظهر فيها هذا الداء الَّا عقيب خضوعها للحبش وتكاثر الاحباش فيها كبلاد هرر وولو وجمَّا وغيرها من بلاد المسلمين

ثم ان المتطببين الوطنيين يؤكدون ان قوَّة العدوى بهذا الداء قد ضعفت كثيرًا عن الاول ويقولون انهُ في البدء لم يكن رجل يستطيع ان يمسَّ بصاق احد المبتلين الَّا ويسري اليهِ الداء . اما اليوم فيستطيع الانسان ان يأكل ويشرب مع المريض ولا خوف عليهِ . على ان هذا الكلام فيهِ نظر ملحَّ اذا اعتبرنا ان ولوج جراثيم الامراض لها طرق معلومة لا تستطيع السير بسواها . فعمدُ قولهم جُزافًا ليس بعلميّ وكثيرًا ما يتهوَّرون في التهلكة لقلَّة فطنتهم يشهد على ذلك اشتداد الازمة المرضية عندهم في هاته الايام وايلادهم البنين المرضى بالوراثة وبعضهم باحوال واشباه غريبة يعرف كنهها الاطبَّاء .

٤ مرض البرص

قد يزيد عدد من ابتُلي بالبرص عن المبتلين بالزهري وقد شوهدت آثار هذا المرض في الحبشة في كل آن ومكان . اينما حللت . وحيثما توجهت ترى على الطرقات اناسًا امتلأت وجوههم بالادران وسقطت اصابع ايديهم وارجلهم وتكوَّن على اجسادهم لُمع بيضاء تظهر جليًّا لسواد بشرتهم . هؤلاء هم البُرص لا يتَّقي احد من الاهلين مخالطتهم ولا يخشون العدوى ولا يأنفون من مرآهم حتى ولا يؤمنون بانتقال هذا الداء منهم الَّا بالوراثة فيدخلونهم الى بيوتهم ويطعمونهم على موائدهم . وقد رأيتُ

منهم الكثيرين وسط اسوار القصر الامبراطوري يشاركون الجنود والضباط في الاكل على الموائد العمومية التي تمتدّ في الاعياد. واذا اراد سيّد حبشي ان يوزّع الصدقة جمع في بيته البُرص وغيرهم من البائسين فيطعمهم الخبز ويسقيهم الخمرة حتى يخرجوا من هنالك كلهم سكارى. واذا مرض احد هؤلاء الرؤساء دُعي الى بيته البُرص والعميان فمكثوا في بيته يأكلون ويشربون ويسكرون الى ان يشفى المريض او يموت. واذا مات احدهم أُقيمت كذلك الموائد مدة اربعين يوماً ما دامت المناحات والمدعوون الى هذه الموائد هم البُرص والعميان الفقراء.

وقد رأيت الكثيرين من ذوي هذه العاهة يطلبون الصدقة بين البيوت ومنهم من يغنّون الاناشيد. والاغرب ما شاهدتهُ في العاصمة اديس ابابا نفسها حيث كثير من البُرص يركبون الخيل المعقورة مع نسائهم واولادهم ويذهبون هكذا من محلّة الى محلة ينشدون الاناشيد ويتسوّلون خصوصاً ايام الاحاد والاعياد الكبيرة عند بزوغ الفجر

هذا وقد شرع آباء الرسالة الكاثوليكية في هرر منذ اكثر من ست سنين بتخفيف هذه المصيبة عن ذويها ففتحوا مستوصفاً جمعوا اليه نيفاً ومائة ابرص. لكن ضيق ذات يدهم لم يمكّنهم من فتح غيره في الامكنة الاخرى وليس لهم من يساعدهم في صنيعهم هذا الخيري

ومما سمعتهُ هنا حكاية شهيرة في الحبشة عن النجاشي تاودورس الذي اراد استئصال هذا الداء من بلاده. قيل انهُ انف يوماً مرأى البُرص اذ كثر عددهم عند قصره وحول مضاربه وعلى حافة طريقه حيثما تجوّل فقصد ان يمحو اثر هذا الداء. فامر ان تبنى محلات واسعة من الخشب والهشيم فبُنيت ثم اصدر امراً يدعو فيه عموم البُرص في مملكته الى مائدة ذُبحت لهم فيها الابقار والاغنام فحضر اليها الالوف من ذوي هذه العاهة الموجودين في بلاد تكره حيث كانت قاعدة ذاك النجاشي واذ امتلأت هذه المحلّات كلها وأكل المدعوّون وشربوا وسكروا امر فأُوصدت عليهم الابواب وأُشعلت بهم البيوت. قيل انهُ قد هلك في ذاك اليوم ستة آلاف ابرص في تلك الوليمة وكان النجاشي ينظر الى المحرقة الهائلة بعين السرور قائلاً: «من اليوم لن يقال لي اني املك على شعب منتن»

لعمري انّ هذه لحكاية غريبة بل جريمة شنيعة! على ان من قرأ تاريخ حياة

تاودورس ذاك النجاشي المتوحش لا يصعب عليه تصديق هذه الرواية التي تقشعر منها الابدان

٥ الدودة الوحيدة

من علم ان الاحباش يتلذذون باللحم النيّ وهو عندهم طعام وطني يأكلهُ كلّ يوم وفي كل وقمة من النهار كلّ من استطاع ذلك وسمحت لهُ ذات يده لا يتعجّب اذا قيل لهُ ان لا حبشي الّا ويضيف في امعائه الدودة الوحيدة على طول حياته. لهذا جرت عادة عموميّة عند الاحباش فكل حبشي يتجرّع الدواء الطارد مرّةً في كل شهرين بلا انقطاع وهو يفضل ان تأوي اليه الدودة الوحيدة بل تبلغ العشرات من ان ينتهي عن اكل اللحم النيّ. وانما العناية الالهية جعلت لهم الدواء بقرب الداء فيتخذون لذلك دواء يستخرجونهُ من شجرة يسمّونها الكوسو (Kousso) تنبت في بلادهم فلا يكلفهم الدواء ثمناً غالياً

وقد جعل بعض المثرين منهم يستبدلون الكوسو بحبوب خلاصة السرخس الذكر او بالبلتارين (pelletérine) التي يأتيهم بها بعض التجار الافرنج الّا ان قلّة المال لا تسمح لكثيرين بابتياع هذه العقارات الغالية الثمن

٦ الجراحة

يذهل الاحباش اذا ما رأوا عمليّة جراحيّة يجريها امامهم احد الجراحين الافرنج وهم لا يزالون يذكرون اعمال جمعية الصليب الاحمر الروسية وقد اتى جرّاحوها بالمعجزات الجراحية امامهم عند ما جاءوا الى الحبشة عقيب حرب الاريتره. ويزورون الى اليوم بكل اعجاب عملية فتح الجمجمة صنعها امامهم منذ نيف وعشر سنوات الدكتور دي كوتاليت احد اطبّاء البحرية الفرنساوية الذي كان وقتئذٍ يصحب احدى البعثات العلمية في هذه الاقطار

غير ان المتطببين الوطنيين قلّما عمدوا الى الجراحة وهم يحيلون العمل في مسيس الحاجة الى المجبّرين والحجّامين الذين تراهم في المدينة يدورون الاسواق حاملين عدّتهم واجهزتهم الجراحية ومحجماتها قرنان صغيران لاجل الحجامة وبعض الابر الغليظة وقليل من

شمع العسل وسكين قاطع او اثنان. وهؤلاء المجبرون والحجامون هم في الغالب قليلو الجسارة لان الحكومة لا ترحم الذين يقدمون منهم على عمليات تؤدي الى سوء العقبى. على اني نظرت من عامة الناس وخصوصاً من الجنود قوماً يجبرون الكسر بمهارة ولباقة ويشدّونه بالرباطات ومنهم من يحاول اكثر من ذلك في اوقات الضرورة القصوى فلا تعدم غيرتهم نتيجة النجاح

حكي عن النجاشي منليك انهُ قُدّم اليه يوماً عند عودته من حرب الاريتره رجل قد انتفخ بطنه لرصاصة كانت اصابته دون ان تقطع الامعاء وخرجت من الناحية الاخرى فتكوّن الصديد في الغشاء الشحمي ولم يعد ينتظر غير الموت لينجو من آلامه. فلما راه الامبراطور على هذه الحالة اخذ قضيب بندقية كانت ملقاة امامه وانفذها في جرح الرجل حتى اخرجها من موضع خروج الرصاصة فنفذت للوقت كمية كبيرة من الصديد وبرئ الرجل. وهنا مجال القول ان جلالته لهُ صيت طبيب ماهر في الحبشة وقد سمعتهُ يوماً يقول اذ كان يحضر فتح خراجة لاحد خدامه الاخصاء في القصر انهُ كان هو طبيباً في عهد لم يكن بعد قد حضر الاطبّاء الافرنج الى هذه البلاد

وفيما خلا ذلك فان عموم الاحباش اذا جُرح احدهم خاطوا لهُ جراحهُ بكل ما امكنهم من السرعة. واذا وجدوا في محلّ تعذّر عليهم فيه وجود الابرة والخيط جمعوا الشوك من البرية وحملوا به الجرح حتى يتوصلوا الى ضمه وخياطته. واذا لم ينقطع تريف الدم لطخوا عليه لبخةً مؤلفة من رماد التبغ واوراق بعض النباتات البرية ثم جعلوا فوق ذلك كمية من الطين اللزج وشدّوا الجرح بوثاق من القماش فينقطع النزيف. وعندما يُحكم على احد بقطع احد اعضائه (وهذه العادة الوحشية لم تزل جارية في هذه البلاد) يغسلون العضو الباقي بعد القطع في الماء الحارّ فينقطع الدم. وقد ذهبت يوماً في اديس ابابا لاستحمّ في الماء المعدني الحارّ حيث بنى عليه احد الارمن حمّاماً فاذا بالجند يجرّون سارقاً حُكم عليه بقطع يده. واذ دنوا به من مجرى الماء الحارّ الخارج من الحمام شدوا ساعده بوثاق ثم اتى احدهم بسكين غليظة فقطع بها دائر المفصل واخذ كفّ المنكود الحظ بيده فخلعه عن مفصله بلمعة البصر ثم غمس الساعد المقطوع في الماء الحارّ. وقد اقشعرّ بدني من هذا المنظر الفظيع واعتراني الدواخ فأظلم النور في عيني لكنّ المجرم كان ينظر الى يده وهي تُقطع ولا يصرخ ولا يستجير ولم تسقط

دمعة واحدة من عينيه كانهُ جماد والحقُّ يقال انَّ هؤلاء القوم اقسى من الجماد

٧ التوليد

اذا احسَّت المرأة الحبشية بقرب ساعتها دعت اليها اقاربها او جاراتها ليساعدوها في الولادة والفقيرات او العبدات منهنَّ يلدن بلا مساعد. وقد تقوم اليوم مقام القوابل نساء متقدمات بالسنّ مارسنَ التوليد بالاختبار ولكن قلَّ من دعاهنَّ من الاحباش الّا نساء ذوي اليسر. واذا ولدت امرأة سمعت حول دارها طلقات متعددة من البنادق فيهرع الاهلون والجيران لتهنئة الاب والاقرباء. امَّا الام والطفل فيكونان وراء الستار خوفاً من العين!

وبعد الولادة بثمانية ايام الى خمسة عشر يوماً يُحتفل بتطهير الطفل لان الاحباش كالأقباط يختنون اولاً ثم يعمّدون

٨ العقاقير الطبيَّة

ليس اقرباذين الاحباش طويلاً ولا العقاقير فيه متعددة الاجناس والمتطببون يخفون الدواء الى المريض سرًّا وعندهم ان استعمال الدواء بالسرّ ضامن لحسن مفعوله. واول هذه العقاقير واهمُّها هي العسل والسمن فالعسل يُستعمل في تركيب بعض المعاجين والمسحوق النباتية والسمن دواء بذاته يستعملهُ المتطببون لشفاء امراض كثيرة فهو المقيّ والمسهل والدهون والفروك وغير ذلك واذا اضفتَ الى ما ذُكر الكوسو بانواعه ومسحوقاً نباتيًّا يدّعون انهُ يشفي من الكلب ومسحوقاً آخر يتنشقونهُ في الانف اذا اصابهم الزكام وزد على ذلك الكتابات والرقي والحرعبلات ودَهن بعض الاشجار بالسمن فتكون عرفت الاقرباذين الحبشي باجمعه. وقد ابتدأوا اليوم باستعمال بعض الادوية الافرنجية فهم الآن يعرفون اليودوفرم والكينا ويودور البوتاسيوم والعشبة المغربيَّة (السلسابريليا) وحبوب السرخس الذكر.

وبالختام لا يسعني السكوت عن المياه المعدنية الموجودة في محلات مختلفة في هذه الاقطار وقد عرف الحبش مفاعيلها من قديم الزمان فيستحثُّون بها ويبرأون وخصوصاً المبتلون منهم بوجع المفاصل او بالجرب على انهم اخترعوا الخرافات ايضاً في وصف هذه

للياه فنها عندهم ما يأتي من بحيرة طبرية ومنها ما يزعمون أن القديس جاورجيوس غرس فيها رمحهُ الى غير ذلك من الحكايات الفرية. وقد نظرت منها نبعاً لا يبعد كثيراً عن هرر يقال لهُ ماء ارتو فوجدتهُ شديد النفع لشفاء الامراض العصبية

الدرّة النفيسة في مآثر الكنيسة

بقلم حضرة الخوري وقائيل البستاني من اساتذة مدرسة الحكمة الغامرة نظمها بفرصة يوبيل قداسة المجد الاعظم فثبتها في هذا العدد الاخير كسلك ختام سنتنا وواسطة قلادة المجلّة

أطلقْ يراعاً للقريض ونضّدِ ... عِقْدَ البلاغة من شذور العسجدِ
حُلْ في متون الفكر وآنِ عِنانهُ ... وأدِرْ لحاظك في العصور وأنشدِ
وامرحْ مُجيلاً طِرْفَ طَرْفِكَ ثمَّ قِفْ ... واستشهدِ الدهرينَ قرناً تشهدِ
ألفانِ من خُطبا السنينَ تدفّقت ... دُرَرًا فايْ مزيّةٍ للمنشدِ
فتصفَّح الايّامَ انّى جئتَها ... وافتكَّ بالخبر اليقين المسندِ
أضحت لِرُقْك المبايعُ رَتْبَةً ... فيرِ الحثيثَ وردْ غيرَ المورِدِ
وفرَتْ لديك مآثرٌ بيعيّةٌ ... شتّاء اسمى من مقال معدِّدِ
أتضيقُ ذرعًا في مديح كنيسةٍ ... غصَّ الفضاء بدرّها المتنضّدِ
قُلِ الكنيسةُ إن تَرُمْ تعريفها ... هي ما بناهُ الله فوق الجلمدِ
هي صوتُ ربّكَ هاتفٌ بعبادهِ ... يدعو الشعوبَ لكل فضلٍ امجدِ
ورسولُ سلمٍ للممالك كلّها ... وشهابُ رشدٍ مَن يشأ فليهتدِ
أمُّ اليتيم وللحزين عزاؤهُ ... شمس الضليل ومنجعٌ للمجتدي
ذُخرُ الفقير وللبغاة مؤنّبٌ ... حصنُ الضعيف مقوّمُ المتأوّدِ
يذبوعُ كلّ تمدُّنٍ وتقدّمٍ ... واساس فضلٍ في العباد مشيّدِ
وهي الشكيمُ لكل عَهْلٍ جامحٍ ... ولكل شعبٍ ثائرٍ متمرّدِ
فتحت ذراعيها لمظلوم كما ... وقفت لعاتٍ ظالمٍ بالمرصدِ
نشلتْ بني الانسان من وهد الغوى ... فما بساطع نورها المتوقّدِ